بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لدرس في شرح:

"القواعد الأربع"

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-

ألقاه فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

-حفظه الله تعالى-

في جامع الرضوان بالمدينة النبوية

نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده تعالى ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

قبل أن نبدأ في درس الليلة أرغب في التنبيه على أمر يتعلق باللقاء الذي مضى- بارك الله فيكم- وهذا الأمر ما كنت أظن أن الأفهام تبلغ بأصحابه هذا المبلغ فقد شرق بعضهم وغرب وأتى بالعجائب، والعجائب جمةٌ ولاضير فكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيمِ،

وبكل حال فلن أتعرض لما ذكر أو لما بلغني من ذلك، وإنما أستعرض بعض من قد ألتبس عليه الأمر فأجيب على أنه وجه والجواب عليه، من باب ما بال أقوام وضح؟ من باب الجواب على قول النبي -عليه الصلاة والسلام- ما بال أقوام، ألا وهو الأمر عندما سُئلنا عن الامتحانات أو جعل اختبار للطلاب سؤال الاختبار، لا شك أن هذه المسأله أخذت مسارًا بعيدًا وشرقت وغربت ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقد يكون البعض قصده حسنا وقد يكون البعض قصده سيئا وهكذا والله أعلم بنا وبهم، هذه المسأله -بارك الله فيكم- قد بينت فيما مضى

من الجواب أن مسألة إجراء الاختبارات والتصحيح يعنى تصحيح الأسئلة، أسئلة سؤال وجواب نعم، وراسب وناجح هكذا التصحيح ليست من سنن أهل العلم، سمعها بعض الناس سنة، ليس من السنة أنا قلت سنن أعني طريقة العلماء، والجواب عن هذه المسألة أو بيانها أكثر إيضاحا أن بعض الناس قد استشكل وقد يعني أعذره نوعا ما إذ بعض الناس أشد ظاهريةً من ابن حزم نفسه، وعلى كل حال فمثل هذا من الأمثلة أن بعضهم فهم من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- الوارد عند البخاري وغيره في الصحيح في قول النبي- عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ)) وهي ماذا؟ النخلة الحديث، وكذلك حديث لما كان معاذ - رضي الله تعالى عنه -رديف النبي- عليه الصلاة والسلام -قال: ((يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اَللَّهِ عَلَى اَلْعِبَادِ)) والأحاديث التي تدور في هذا المعنى والفلك،

وبوب الإمام البخاري لهذا الحديث في بعض مواضعه باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبرهم أو ليختبر ما عندهم من العلم، أقول إن الإمام البخاري -رحمه الله- قد خرج هذا الحديث في عشرة مواضع من صحيحه، ثلاثة منها في كتاب العلم، منها هذا الباب الذي ذكرناه ومنها باب قبله:" باب قول المحدث

حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا" ومنها باب ثالث كلها في كتاب العلم "باب الفهم في العلم" وليت هؤلاء دققوا في تبويب الإمام البخاري -رحمه الله- هذا الحديث لا يدل على ما أرادوه ولا ما فهموه وتبويب الإمام البخاري لا يدل على هذا الفهم أبدا فقوله ليختبر ليس معنى الاختبار الذي ذهبت إليه أذهان الكثيرين، فكون المدرس أو العالم أو الشيخ يختبر أذهان الطلاب ويمتحن تيقظهم وعدم غفلتهم هذا من السنة، وهو الذي نفعله وفعله أيضًا مشايخنا ومن قبلنا من العلماء أنهم يسألون، وهذا نطرحه نحن، وقد طرحنا في مرات كثيرة، ولازلنا نطرح الأسئلة في بعض ما نطرح من شرح ومن ذلك أن قلت ما أعظم ما نهى الله عنه؟ أجاب البعض قال الشرك، أعظم ما أمر الله به ماذا إيش التوحيد وهكذا، فهذا طرح المسألة على الطالب اختبارا لذهنه وتيقظه وحضرته وعدم غفلته، هذا من السنة وضح؟

ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- قال أنه جاء في نفسه أنها ماذا النخلة، كيف عرف ابن عمر أنها النخلة؟ جاء عند أبي عوانة في مستخرجه وجه قول عبد الله بن عمر أنها النخلة أو قوله في بعض الروايات "وقع في نفسي أنها النخلة"، قال: "فظننت أنها النخلة" عند أبي عوانة لماذا ؟ قال: "من أجل الجُمار الذي أتى به

النبي- عليه الصلاة والسلام -" لما جاء النبي- عليه الصلاة والسلام -إلى أصحابه ومعه الجمار ومن النخل وجلس، فأتى النبي- عليه الصلاة والسلام - بجمار فقال: ((إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ)) قال: "فظننت أو فوقع في نفسي أنها النخلة بدليل القرينة التي معه " وضح؟ بدليل القرينة الذي كانت معه، وجاء عند البخاري في كتاب الأطعمة أن ابن عمر قال :"بينما نحن عند رسول الله- عليه الصلاة والسلام -إذ أُتي بجمار فقال" يقول الحافظ في الفتح: "به إشارة إلى أن الملغز له -كاللغز وهذا من باب اختبار ماذا الأذهان ليس لاختبار تصحيحيا وترسيبًا، ناجح وراسب، قال:" إن الملغز له ينبغى أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال وأن الملغز ينبغى له أن لا يبالغ في التعمية، بحيث لا يجعل للملغز بابًا يدخل منه، بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه"

إذًا هل هذا الذي فهمه من فهمه يدل على المعنى الذي ذكرنا ونفيناه عن العلماء؟ ليس هو من قريب ولا من بعيد.

وقال أيضًا الحافظ مستنبطًا "فيه امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه" أي يُبين ذلك لا يجعل الأمر تعميةً، قال: "وفيه التحريضُ على

الفهمِ في العلمِ" وقد بوب البخاري له بابُ الفهم في العلم، قال: "وفيه ضرب الأمثالُ والأشباه لزيادة الإفهام"، وفي بابِ الفهم في العلم بعد أن ذكر الحديث بين مناسبة الحديث للباب فقال -رحمه الله-: "مناسبتهُ للترجمة أن ابن عمر لما ذكر النبي -عليه الصلاةُ والسلام- المسألة عند إحضار الجُمارِ إليه فهمَ أن المسئول عنه النخلة، فالفهمُ فِطنةٌ يفهمُ بها صاحبُها من الكلام ما يقترن به من قولٍ أو فعل" فهذه الأحاديث وما جرى مجراها هو من باب طرح المسألةِ لاختبار أفهام الطلاب، لا أن أُجري اختبارًا عند ختم الدرس، أو الدروس أو الكتاب وأقول فلان ناجح وفلان راسب.

والأمر الثالث -بارك الله فيكم- لو تَأملتَ في سيّر العلماء الذين درَّسوا وقرأت تراجمهم منذ السلف الأول، وما مر على هذه الأمة من إنشاء المدارس، كالمدرسة البيهقية، والمدرسة النظامية، والصلاحية وغيرها مما توارد عليها العلماء ودرّسوا فيها العلم، لن تجد أن أحدًا منهم في ختم الدرس أو إنهاء كتاب أن أجرى اختبارًا للطلاب ناجح راسب، اجعل تحتها خطوطًا أو فوقها خطوطًا حتى يُفهم هذا، هذا سنن العلم يُدرس العالم يختبر أذهان الطلاب إن كانوا فهموا فهموا، إن لم يفهموا أعاد ليفهموا، ثم بعد ذلك دورُ الطالب من مذاكرته للعلم، هو يذاكر

ويتذاكر مع أخيه وصاحبه ليثبُت العلم، ولو تأملت في الكتب المؤلفة في أدب الطلب والمنصوص عليها ستجدُ من مقالات العلماء مثلًا ما ذكره العلامة ابن جماعة قال: "إذا فرغ الشيخُ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلقُ بهِ -أي بالدرس- على الطلبة يمتحن بها فهمهم" يعني أختبر تيقظهم وفهمهم وإدراكهم قال: "يمتحن بها فهمهم وضبطهم لِمَّا شُرح لهم، فمن ظهر استحكام فهمه "يعني أنه فاهم ظابط " فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الإصابة في جوابه شكر" يعني سألتُك فأجبت فكان جوابك صحيحًا، وكررت سؤالًا آخر، فأجبت فكان الجواب صحيحًا، فما هو الدور قال: "شكرهُ" قال له أحسنت أو بوركت، طيب من لم يفهم نقول راسب؟ قال: "ومن لم يفهم تلطف في إعادتهِ له" أي إعادة ما لم يفهمه له، وقال أيضًا-رحمه الله-: "أنَّ الطالب أن يُطالب الطلبة -أي الشيخُ إذا ما أنهوا حفظ متنٍ عليه- أن يطالب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ويمتحن ضبطهم لِما قدم لهم من القواعد المهمة، والمسائل الغريبة ويختبرهم بمسائل تُبنى على أصلٍ قرره أو دليلٍ ذكرهُ" أنا أسئلُكم هذا الامتحان وهذا الاختبار هو للنجاح والرسوب أو للضبط وعدمه؟ للضبط وعدمه، فهمت -بارك الله فيك-.

الأمر الرابع: ظن بعضُ الناس أن لفظة اختبر وامتحن أني أمنع منها، وهذا لا أظنُ مدركًا يُدرك ما أقول أو ماقُلناهُ مرارًا وتكرارًا أني أمنعه، لكن الامتحان الذي هو في الذهن وتولد الآن هو الذي أقول إنه ليس على سنن أهل العلم، وإلا فاختبار أذهان الطلاب وامتحانهم، وامتحان ضبطهم، وتيقظهم، وعدم غفلتهم و، و، هذا أمرُ لا ينكرهُ أحد، لا يمكن إنكاره ومما قلناه مرارًا وتكرارًا في شروحنا على النخبةِ والموقظة وغيرها، أن من وسائل معرفة العلماء ضبط الراوي الامتحان، امتحانه لِمَّا يضبطهُ من المرويات، ليس بعد انتهاء شرح أو درس اختبرهُ، امتحنهُ فيما يحفظ كما ذاكر أبو زرعة الإمام أحمد قال أبو زرعة لعبد الله: "ذاكرتُ أبا عبد الله في ألف ألف حديث فوجدتهُ يحفظها" أو كما قال-رحمه الله- ذاكرهُ على الأبواب والأحاديث فهذه المسألة أعني مسألة الامتحان مشهورة مشتهرة ومقررة أنها من وسائل معرفة ضبط الراوي،

قال بعضهم: "ولعل حادثة البخاري واختبار البخاري يعني ظاهرة" نعم، نقول إن الإمام البخاري قد امتُحن كما هي في قصته الشهيرة اختبار أهل بغداد له، وقد تكرر امتحان أهل العلمِ بعضهم بعضًا فيما يضبطون من المرويات، ويُقلب بعضُهم الأحاديث على بعض ليختبر ضبطهُ، كما قلّب حماد بن سلمة على

ثابت البُناني أحاديث قال فلم تنقلب عليه، وقلبتُها على أبان بن عياش فانقلبت، وهذا القلبُ وهو نوعٌ من أنواع علوم الأحاديث المقلوب لما ذكر العلماء من طرائقه الامتحان، من العلماء من منع القلب أبدًا، ومنهم أو الأكثر على جوازهِ بشرط أن لا يبقى حديثًا، بمعنى لو قلبت فاختبرتُك ولم تستطع الجواب لابد وجوبًا أن أُبين قبل أن تغادر الصواب من الخطأ، حتى لا يستمر الخطأُ حديثًا، ومنهم كما قُلت من منع بالكلية، فهذا بابٌ وما قلتهُ بابٌ، ولعلي لو قربت لك أكثر فأكثر وأختم وأرجو أن المسأله لا تتعدى أكثر من هذا، فلا تبنى القصور والعلالي على أفهام سقيمة،

كم هي لو ذكرنا من المعاصرين من العلماء المعاصرين كم هي الكتب التي درّسها الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز؟ كثيرة صحيح، والكتب التي درّسها شيخنا الشيخ محمد العثيمين -رحمة الله عليه- كثيرة، والعلامة مقبل -رحمه الله- والعلامة العباد -حفظه الله- والعلامة النجمي، وغيرهم من العلماء المعاصرين وغيرهم، هل سمعت يوما ما أن اختبر أحد منهم طلابه بعد أن أنهى شرح كتبٍ -سين، جيم، ناجح راسب- موجود هذا بعضكم لعله درس أو يدرس في المسجد النبوي عند شيخنا صحيح؟ كم هي الكتب التي شرحها

عديدة؟ هل اختبر يومًا ما؟ فهذا مثال، أنا أقول لن تجد لو قرأت في تراجم الأئمة أن فعل أحدهم هذا الذي يقال، قد يقول قائل إذًا معنى هذا أن الدراسة التي في الجامعات أو في المعاهد المنتظمة، هل هذا أنه لا يجوز؟ قلت لك طرائقة العلماء هي الشرح على الذي ذكرنا والطريقة التي ذكرت لك،

أما هذه الجامعات والجهات العلمية الرسمية فلا ضير، أقول لا ضير من إجراء مافيها من امتحان وتنظيم للأمور وترتيب لها فقط ليس إلا، أنت تسأل عن طريقة العلماء هذه طريقتهم تسأل عن طريقة الوزارات هذه طريقتهم، ولا يصح أن تقول كما جائتني بعض الرسائل أن بعض الطلبة قال إن الدراسة والحالة هذه أشاع، بناء على قولي السابق وأشاع في الطلبة أن الدراسه في الجامعة الإسلاميه مثلًا أو غيرها من الجامعات التي تعنى بدعة، ولا يجوز وهذا -بارك الله فيكم- من الاعتداء والفهم السقيم والافتيات والبهت فلم أقل إنها بدعة، قلت هذا؟ أنا أقول ولازلت وأصر بالأدلة التي ذكرت لا ليست على طريقة العلماء التي سلكها أهل العلم في تدريسهم في حلق العلم وجوامع العلم وضح، أما أن يكون في إحدى الجامعات أو المعاهد فُعل هذا فعل بالمفضول، ليس إلا ولا تزد على هذا -بارك الله فيك- وضح،

إذًا هل يجوز الإنكار على من امتحن أو اختبر ؟ لا يجوز فهمتم، نعم في سؤال؟ هذا من اختبار أذهانكم بقي شيء؟

بل إن بعضهم يقول في جوابي السابق حتي إني ذكرت قلت إذا كنت ولابد فاعلًا فاختبر نفسك في البيت فيما بينك وبينه، وصحح لكن لا تغش وكنت أذكر هذا على سبيل الدعابة، قال بعضهم ما الفرق بين اختبار الطالب لنفسه واختبار الشيخ له طيب ماذا نفعل؟ يا إخوة الأمور يجب أن تؤخذ بهدوء ورويه ولا يكون الواحد منا إمعةُ، الإدراك والفهم قال الإمام البخاري -رحمه الله-: "باب الفهم في العلم"

نعم، تفضل.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد: اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا والسامعين،

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالي - في رسالته القواعد الأربع:

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ:

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]

الشرح:

هذه هي القاعدة الثانية من القواعد الأربع التي ذكرها الإمام محمد بن عبدالوهاب في هذه الرسالة النافعة والكلام عليها شرحًا من وجوه:

الوجه الأول:

أن هذه القاعدة فيها بيان حال المشركين الذين سماهم الله -عز وجل- وحكم عليهم بالخلود في النار، وأن هؤلاء مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، وإنما أشركوا في توحيد الإلاهية، وبيانه أنهم مقرون بأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق مع الله، وإنما اتخذوها لتقربهم من الله زلفى، ولتشفع لهم عنده، فهم إذًا عبدوها على جهة

القربة أو الشفاعة، فيقولون: إنا ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، طيب لماذا طلبوا القربة والشفاعة منهم عند الله؟ السبب في طلبهم وتوجههم إليهم هو أنهم يدَّعون أن أولئك المدعوين أصحاب طاعات ودين، ولهم أعمالٌ صالحات، لذا توجهنا إليهم وطلبنا شفاعتهم لنا عند الله.

الوجه الثاني:

أن الله –جلَّ وعلا– ذكر هذا الذي قالوه في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ ذكر الله –جلَّ وعلا– هذا الذي قالوه وأشركوا به أي مع الله،

قال: فدليل القربة، قبل أن نتكلم عن الدليل،

القُربة: القاف، والراء، والباء أصلٌ صحيحٌ يدل على خِلاف البُعد،

ذاك بعيد وهذا قريب، يُقالُ قَرُبَ يَقرُبُ قُرْبًا وفلانٌ ذو قرابتي، تقول فلان ذو قرابتي وهو لمن يقرب منك رحِمًا.

والقربى: هي القرابة، والقِرابُ: مقاربةُ الأمر، والقربان: ما قُرب إلى الله من نسيكةٍ ونحوها.

ذكر الشيخ –رحمه الله– هنا دليلٌ للقربة آيةُ الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَى﴾[الزمر٣] الآية قبلها أن الله –جل

وعلا- قال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّـهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّـهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر١-٣] فقولهم ما نعبُدهم حصرٌ وقصر، ما نعبدهم حصروا إلا ليقربونا، أي لم نعبدهم لعلةٍ من العلل إلا من أجل التقريب فقط، إذ يقربونا إلى الله زلفى، إذًا حصروا وقصروا ما أردوا بدعوتهم أنهم أرادوا القربى وأنهم أردوا بذلك ما عند الله لا ما عند المدعوين انتبه، أرادوا بهذا ما عند الله، ليقربونا إلى من؟ إلى الله، فهم لا يطلبون المدعوين وإنما يطلبون الله، ولكنهم جعلوهم وسائط فحصروا طلبهم في القربة من الله -عز وجل- بطريقِ هؤلاء.

قال الإمام ابن كثير في التفسير: "قال قتادة، والسُدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد قال: ﴿ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَىٰ﴾ أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلةً، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم ماذا كانوا يقولون؟ يقولون لبيك لا شريك لك لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك " هكذا كانوا يلبون، قال -رحمه الله-: "وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثِهِ" قال: "وجاءتهم الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- بردها -أي رد هذه الشبهة- والنهي عنها والدعوة

إلى إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له وأن هذا شيءٌ اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضهُ ونهى عنه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾[النحل٣٦] وقال﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٢٥] يقول- رحمه الله-: "وأخبر أن الملائكة التي في السماواتِ من الملائكة المقربين، وغيرهم كلهم عبيدٌ خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبهُ الملوك وأبوهُ، قال: قال الله- جلا وعلا-: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّـهِ الْأَمْثَالَ﴾[النحل٧٤] تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا" انتهى كلامه -رحمه الله-.

ظن هؤلاء المشركون أن الوضع في طلب الشفاعة من الله-عز وجل- كما يُفعل بين الملوك، أن الوزراء والأمراء والنواب لهم حظوة فيطلب العبد منهم أمرًا، يطلب شفاعة هذا الوزير وهذا الأمير وهذا المسئول عند الملك، قد يحب هذا الأمير وذلك المسئول هذا الأمرُ وقد لا يحبه، فهم ظنوا هذا الظن وهذا من أفسد الأقيسة كما قال العلامة السعدي-رحمه الله- إذ شبهوا المخلوق بالخالق تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا.

الوجه الثالث:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[الزمر٢] في هذا بيانٌ أن الله تعالى سيفصلُ حاكمًا بين الفريقين المخلصين والمشركين يوم الميعاد، ويجازي كلٌ بما عملهُ قال -جلا وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[الزمر٢] أي لا يُرشد للهداية من قصده الكذب والافتراء على الله وقلبه كافرٌ بآياته وحججه وبراهينه انتهى كلام الحافظ ابن كثير-رحمه الله-.

تستفيدُ أيضًا أن الله -عز وجل- سمى هؤلاء كذبة وكفرة قال: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر٢] فسماهم كذبةً كفرة فهذا يدل على أن عبادتهم إياهم لطلب القربى والتقريب أنها كفرٌ وردة، وإن لم يقولوا أنهم يخلقون ويرزقون، إن لم يقولوا هذا، فإن كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويتوسلون بهم بقصد القربى وأنهم يشفعون لهم عند الله هذا الأمر قد سماهُ اللهُ كفرًا قال: ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[الزمر٢] سماهُ الله -عز وجل- كفرًا وأيضًا سماهم بأنهم كذَبة لأنهم كذبوا بقولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ

زُلْفَىٰ﴾[الزمر٣] وكفروا بهذا العمل أي بدعوتهم إياهم، كذبوا في قولهم وكفروا بعملهم.

قال-رحمه الله-:

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـــؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرح:

والوجه الرابع:

في شرح هذه القاعدة، قد ذكرنا ثلاثة أوجه تتعلق بالشفاعة،

قال: "ودليل الشفاعة" تقدم الكلام عن دليل القربى الآن الكلام عن الشفاعة، الشفاعة مأخوذة من الشفع والشفع ضد الوتر، قال تعالى: ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾[الفجر : ٣] والمعنى أي الشفع: جعل الوتر شفعًا، كجعل الواحد اثنين والثلاثة أربعة، هذا من حيث اللغة الذي مضى.

أما اصطلاحًا: فهي التوسط للغير بجلب منفعةٍ أو دفع مضرةٍ عنه، يقول الشيخ -رحمه الله- ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾[يونس : ١٨] الآية من سورة يونس، فيها في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ ﴾ إلى آخر الآية إقرارٌ منهم بأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع، وأنهم فقط عبدوهم أو دعوهم ليشفعوا لهم عند الله ولذا قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدّثر : ٤٨] يقول شيخ شيوخنا العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره قال: " يقول تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾ أي المشركون المكذبون لرسول الله ﴿مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ أي لا تملك لهم مثقال ذرةٍ من النفع ولا تدفع عنهم شيئًا هذه التي يدعونها من دون الله ويقولون قولًا خاليًا من البرهان ﴿ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ أي يعبدونهم ليقربوهم إلى الله ويشفعوا لهم عنده وهذا قولٌ من تلقاء أنفسهم ،-قالوه من عند

إيش ؟ هل عندهم حجة في هذا ؟ هل أباحه الله لهم ؟ هل بعثه الأنبياء بهذا ؟، لا – قال: هذا قولٌ من تلقاء أنفسهم وكلامٌ ابتكروه هم –أي اخترعوه– ولهذا قال الله تعالى مبطلًا لهذا القول: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ أي الله تعالى هو العالم الذي أحاط علمًا بجميع ما في السماوات والأرض وقد أخبركم –جل وعلا– بأنه ليس له شريك ولا إله معه فأنتم معشر المشركين تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء أفتخبرونه بأمرٍ خفي عليه وعلمتموه أأنتم أعلم أم الله فهل يوجد قول أبطل من هذا القول المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين فليكتفي العاقل بمجرد تصور هذا القول –إذًا أنت عاقل تصور هذا القول فقط لتعلم ماذا؟ بطلانه، التصور يعطيك حكم هذا القول نعم– قال: فليكتفي العاقل بمجرد تصور هذا القول فإنه يجزم بفساده وبطلانه –سبحانه وتعالى– عما يشركون" انتهى كلامه –رحمه الله– إذًا هذا هو الشرك الذي وقعوا فيه، وهم أنهم عبدوهم من دون الله مع اعترافهم أنهم لا ينفعون ولا يضرون، وإنما اتخذوهم شفعاء عند الله فدعوهم من دون الله، هذا الشرك الذي وقعوا فيه أبطل حصول الشفاعة لهم،–افهم هذا– هذا الشرك الذي وقعوا فيه أبطل حصول الشفاعة لهم، ولم ينفعهم ذلك بل ضرهم ولهذا قال

تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[المدّثر : ٤٨] متى تنفعهم شفاعة الشافعين؟ إذا وحدوا وتابوا من الشرك الذي وقعوا فيه ورجعوا إلى التوحيد، حينئذٍ تنفعهم شفاعة الشافعين وضح.

الوجه الخامس:

قسّم الشيخ هنا الشفاعة إلى قسمين: مثبتة ، ومنفية.

فبدأ بالمنفية، لم بدأ بالمنفية؟ ثم ثنى بالمثبتة من باب التخلية والتحلية "لا إله إلا الله" نفي لما عبد من دون الله وإثبات العبادة لله وحده دون ما سواه، فبدأ بالمنفية، ثم ثنى بالمثبتة وضح هذا ،

أقول قسم الشيخ الشفاعة إلى قسمين فبدأ بماذا ؟ بالمنفية قال: "فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله"

الشفاعة المنفية ما هي؟ هي الشفاعة التي نفاها الله في كتابه أو نفاها رسوله – صلى الله عليه وسلم– وضح، لذا قال الشيخ المنفية ما كانت تُطلب من غير الله، ما كان يطلب من غير الله أثبته الله في كتابه أم نفاه ؟ نفاه وضح، فهي ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو ما كانت تطلب لمشرك أو كافر فلا يجوز لك أن تشفع لهم وضح، ذلك أن الشفاعة كلها لله قال الله –جل وعلا–:

﴿قُل لِّلَّـهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر : ٤٤] قل لله ملكًا واستحقاقًا لله الشفاعة جميعا ملكًا واستحقاقًا، وعليه فليس لمن تطلب منه شيء منها، ليس له فيها شيء أبدًا ﴿قُل لِّلَّـهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ وإنما تطلب والحالة هذه ممن يملكها دون كل من سواه وهو الله -جل في علاه سبحانه وتعالى-.

الوجه السادس:

وهو القسم الثاني الشفاعة المثبتة، أي التي أثبتها القرآن، وأثبتتها السنة وهي التي تطلب من الله وحده دون ما سواه، وتُطلب لأهل التوحيد خاصة، وهذه الشفاعة المثبتة مقيدة بأمرين:

❖ الأمر الأول: إذنه سبحانه للشافع المكرم أن يشفع له، أن يشفع لمن أذن للشفاعة له

❖ الأمر الثاني: رضاه -سبحانه وتعالى- عن الشافع وعن المشفوع له، قال الله -جل وعلا-: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩] وقال -جل وعلا-: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] وقال -جل وعز-: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّـهُ لِمَن يَشَاءُ

وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:٢٦] فالإذن بالشفاعة بعد الرضا وهو -سبحانه وتعالى- لا يرضى إلا عن الموحدين -سبحانه وتعالى-.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره في هذه الآيات في النجم التي في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ الآية قال: "هي كقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾، ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله -عز وجل- وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه" وضح، ونختم

الوجه السابع:

في كلام مهم ونفيس للإمام ابن القيم -رحمه الله- في المدارج حول الشفاعة قال -رحمه الله-: "قال الله تعالى حاكيًا عن أسلاف هؤلاء المشركين -هذا تجدونه في المجلد الأول الصحيفة الأربعين بعد الثلاثمائة من هذه الطبعة العتيقة- قال: "قال تعالى حاكيًا عن أسلاف هؤلاء المشركين ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٣] ثم شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر أنه لا يهديهم فقال: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا

يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[الزمر:٣] فهذا حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم أنه يقربه إلى الله-انتبه معي بالله- قال: "يزعم أنه يقربه إلى الله، وما أعز من تخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها لله وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله" وهم من؟ من هم الذين رضي قولهم؟ الموحدون قال: "ورضي قوله وعمله وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يأذن لمن شاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه فيكونوا أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله له، صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله ربه ومولاه، والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والتي نفاها الله هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون -انتبه وهذه قاعدة من القواعد الفقهية معاملة المرء بنقيض قصده- قال: فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون، وتأمل قول النبي -عليه الصلاة و السلام- لأبي هريرة -رضي الله عنه- وقد سأله: ((يَا رَسُولَ الله،مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ

بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟)) قال: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قال: لا إِلَـهَ إِلا اللهُ،خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ)) -الحديث أخرجه البخاري في الصحيح-

كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة تجريد التوحيد؟ عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم أوليائهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي - صلى الله عليه و سلم- ما في زعمهم الكاذب وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد فحينئذٍ يأذن الله للشافع أن يشفع، ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ وليا أو شفيعا أنه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك، والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله و عمله كما قال تعالى في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥] وفي الفصل الثاني ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[الأنبياء: ٢٨] وبقي فصل ثالث وهو أن لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعن هاتين الكلمتين - انتبه- قال وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولين والآخرين كما قال أبو العالية -رحمه الله- كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها

وعقلها لا شفاعة إلا بإذنه ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله-صلى الله عليه وآله وسلم-" في كلام مطول له -رحمه الله- راجعوه فيه واضح، نعم.

قال -رحمه الله-:

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

الشرح:

هذه القاعدة هي القاعدة الثالثة في هذه الرسالة العظيمة، والكلام عليها شرحًا من وجوه:

الوجه الأول:

لتعلم أيها الطالب أن هذه القاعدة قاعدة نافعة إذ فيها بيان أصناف عبادات من ظهر فيهم النبي-صلى الله عليه وسلم- وأن شركهم متنوع غير محصور، إذ فيهم

من يعبد الملائكة، ومن يعبد الأشجار، ومن يعبد الأحجار، ومن يعبد الصالحين والأنبياء، وغير ذلك يعني أنهم ليسوا على باب واحدٍ في الشرك أو صورةٍ واحدة لهم صورٌ أو أبوابٌ نعم مختلفة وكثيرة وضح.

الوجه الثاني:

أن النبي-عليه الصلاة والسلام- نعم لم يفرق بين الطوائف المُشركة النبي-عليه الصلاة والسلام- لم يفرق بين هذه الطوائف المشركة، بل كلها جعلها مشركة بالله فلم يقاتل طائفة دون طائفة، فلم يفرق بين طائفة من المشركين دون طائفة، بمعنى لم يقاتل من عبد الشجر دون من عبد الحجر، ولم يقاتل من عبد الحجر دون من عبد الأنبياء والصالحين، بل قاتل الجميع قاتلهم على شركهم وكفرهم بالله -جل وعز- واستدل الشيخ-رحمه الله- على هذا بآية الأنفال قال ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي الشرك، والمراد بالفتنة هنا إيش؟ الشرك فلا يُفتن مسلمٌ عن دينه ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ بالشرك فيُفتن المسلم عن دينه فيعبد غير الله ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩] أي يكون التوحيد خالصًا لله دون ما سواه فلا يُعبد إلا الله، ذلك أن الله -عز وجل- لا يرضى الشرك سواءٌ كان المشرك به مَلَكًا أو نبيًا أو رسولًا أو

شجرًا أو حجرًا أو مدرًا أو غير ذلك، كل ذلك لا يرضاه بل ينهى عنه إذ الشرك في جميع صوره، الشرك بجميع صوره محرمٌ منهيٌ عنه.

قال الله -جل وعلا-: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء:٣٦] وشيئًا هنا نكرة في سياق النهي، وهذا من دلائل العموم وفي الصحيحين أنَّ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: ((يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ)) في الحديث قال: ((حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا)) فالشرك بجميع صوره محرم لايجوز،

الوجه الثالث:

أنَّ كل من عبد شيئًا من هذه الأشياء هو في الحقيقة عابدٌ للشيطان، وللإمام ابن القيم كلامٌ عظيم مفيد في هذا في كتابه "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" أو المسمى "بالداء والدواء" يقول – رحمه الله -: "وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال من شارك بينه – سبحانه وتعالى – وبين عدوه -وهو من؟ الشيطان- في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء فلو جعل له من أقرب الخلق إليه شريكًا في ذلك لكان ذلك جراءةً وتوثبًا على محض حقه واستهانة به –

جل وعلا- وتشريكًا بينه وبين غيره فيما لاينبغي ولايصلحُ إلا له -سبحانه وتعالى- فكيف وإنَّما شارك بينه وبين أبغض الخلق إليه، وأهونهم عليه وأمقتهم عنده وهو عدوه على الحقيقة فإنَّه ما عبد من دون الله إلا الشيطان كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس] قال: ولمَّا عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الأمر للشياطين وهم يظنون أنَّهم يعبدون الملائكة كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَـٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ ٤٠:٤١] فالشيطان يدعو المشرك إلى عبادته، ويوهمه أنَّه ملك، وكذلك عُباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنَّهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب، وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشيطان فيسجد لها الكافر فيقع سجودهم له، -ولهذا جاء النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند الغروب لأنَّها تطلع على قرن شيطان وتغرب على قرن شيطان كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-

قال: فيقع سجودهم له، وكذلك عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وأمه، لم يعبدهما وإنما عبد الشيطان، فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم وأمرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم، لا عبد الله ورسوله، فنزّل هذا كله على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾وَأَنِ اعْبُدُونِي هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس ٦١:٦٠]

قال -رحمه الله-: "فما عبد أحدٌ من بني آدم غير الله كائنًا من كان، إلا وقعت عبادته للشيطان، فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان أن يشرك مع الله ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾ [ابراهيم: ٢٢] قال: ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ -أي من إغوائهم وإذلالهم- ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّـهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] قال: فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر -شوف هذه الفوائد سجل هذا- عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه، وأنه يوجب الخلود في

العذاب، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه، بل يستحيل على الله – سبحانه وتعالى– أن يشرع لعباده عبادة إله غيره، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمنفرد بالربوبية والألوهية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك أو يرضى به –تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا– إذًا اجتمع فيه الأمران فالنهي وأن ذلك يتنافى مع ماذا مع جلال الله وعظمته وألوهيته" انتهى كلامه –رحمه الله تعالى وغفر له– نعم.

قال: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾ [الأنفال: ٣٩] وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت: ٣٧] وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾[آل عمران: ٨٠] وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ الآية [المائدة: ١١٦] وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: ٩١، ٢٠]

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: ((خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ)) الحَدِيثَ.

الشرح:

الوجه الرابع:

في سياق هذه الأدلة عند قوله: وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧] أي الشاهد من هذا الدليل وهو الوجه الرابع قوله تعالى: ﴿ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ﴾ إذ فيه بيان أن هناك من يسجد لهما، لذا نهى -سبحانه وتعالى- عن السجود لهما، وأمر بضد ذلك وهو السجود له سبحانه الذي خلقهن، ونهيه -جلَّ وعلا- عن السجود لهما هو في الحقيقة أيضًا دليل على نهيه عن عبادة جميع المخلوقات بجميع أنواع العبادات، والدليل أنه أمر بالسجود له الذي هو أحد أنواع العبادة، وضح؟

الوجه الخامس:

قوله: وَدَلِيلُ الْمَلاَئِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾ الآية [آل عمران: ٨٠] وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللهِّ ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]

أقول قوله -رحمه الله- ودليل الملائكة قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره قال: "أي لا يأمركم تعالى بعبادة أحدٍ غير الله لا نبي مرسل ولا مَلَكٍ

مقرب إذا قال: ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٨٠] أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦] وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آَلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى إخبارًا عن الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الآنبياء:٢٩] وضح؟

الوجه السادس:

في قوله: ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُّ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهَّ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦]

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: "هذا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى بن مريم -عليه السلام - قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[المائدة : ١١٦] يقول -رحمه الله- : "وهذا تهديدٌ للنصارى وتوبيخٌ وتقريعٌ على رءوس الأشهاد هكذا قاله قتادة وغيره إلى أن قال وقوله: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة : ١١٦] قال -انظر إلى هذه اللفتة- قال: "هذا توفيقٌ -أي من الله لعيسى- هذا توفيقٌ للتأدب في الجواب الكامل إذ تأدب في جوابه مع الله -عز وجل- ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة : ١١٦] هذا من الأدب،

وقال العلامة السعدي -رحمه الله- معلقًا على قوله: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة : ١١٦] قال : "أي ما ينبغي لي ولا يليق أن أقول شيئًا ليس من أوصافي ولا من حقوقي" ما هي؟ ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ما ينبغي لي ولا يليق أن أقول شيئًا ليس من أوصافي ولا من حقوقي فإنه ليس أحدٌ من المخلوقين لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حقٌ ولا

استحقاقٌ لمقام الألوهية وإنما الجميع عبادٌ مدبرون وخلقٌ مسخرون" أي بأمره – جل وعلا– انتهى كلامه –رحمه الله–.

الوجه السابع :

قال ودليل الصالحين قوله تعالى :﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[الإسراء : ٥٧] الآية، الوسيلة هي الطاعة والقربة، إذ التوسل من معانيه التقرب، فالوسيلة هي القربة قال صاحب القاموس: "وسّل إلى الله تعالى توسيلًا عمل عملًا تقرب به إليه كتوسّل" انتهى كلامه –رحمه الله–.

فقوله في الآية: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي يطلبون إلى ربهم القربة بالطاعة، وعليه فلابد على العبد أن يتوسل إليه –جل وعز– بما يُشرع أو يجوز له أن يتوسل به، وضح؟ لا يجوز لك أن تتوسل إليه بما لا يجوز، إنما يُشرع لك أو يستحب لك أن تتوسل إليه بما شرعه لك –جل وعز– في كتابه أو على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم– فمن جعل الوسائط بينه من المخلوقين وبين الله يدعوهم ويتوسل بهم ويستشفع بهم عند الله فقد توسل بشيءٍ لا يجوز وأشرك فيه مع الله غيره،

جاء في الصحيحين ما يبين سبب نزول هذه الآية ، فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه– قال: "كان ناسٌ من الأنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك الأنسيون بدينهم" أي بعبادتهم، مع أنهم قد إيش ؟ قد أسلموا وفي روايةٍ: "ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا "وضح ؟

قال العلامة السعدي –رحمه الله–: "أخبر تعالى أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغلٍ شاغلٍ عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله وابتغاء الوسيلة إليه فقال تعالى: ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي من الأنبياء والصالحين والملائكة ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ أي يتنافسون في القرب من ربهم –جل وعلا– ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إليه –جل وعلا– وإلى رحمته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء : ٥٧] فيجتنبون كل ما يوصل للعذاب ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ أي هو الذي ينبغي شدة الحذر منه والتوقي من أسبابه وهذه الأمور الثلاثة: الخوف، والرجاء، والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب ترجلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور وعلامة القلب، أو وعلامة المحبة ما ذكره الله

أن يجتهد العبد في كل عملٍ يقربه إلى الله وينافسُ في كل قربة بإخلاص الأعمال كلها لله -جل وعز- والنصح فيها وإيقاعها في أكمل الوجوه المقدور عليها فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذبٌ"

نقف عند هذا حتى لا نعطل الإخوه عن الذهاب، ونكمل إن شاء الله في اللقاء القادم بإذن الله -جل وعز-.

والدرس الذي بعد هذا أو الكتاب الذي بعد هذا إن شاء الله هو كتاب الأصول الستة للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات

يرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.